بسم الله الرحمن الرحيم

# من كتاب القدر
# فى صحيح البخارى
## دراسة بلاغية


مقدمتـــــه

د/ عـــزة أحمـــد مهـــدى

المدرس بقسم البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات

الأســـكندرية

## مقدمة :

**قال تعالى : " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ".**

**( النحـــل ٤٤ )**

الحمد لله الذى هدانى إلى دراسة البيان النبوى ببلاغته المتفردة بعد القرآن الكريم من خلال بعض أحاديث من كتاب ( القدر ) اخترتها لتوضح ما أجمله القرآن الكريم فى **قوله تعالى : " وكان أمر الله قدراً مقدوراً " ( الأحزاب ٣٨ )**

فقد اصطفى الله (ﷻ) محمداً (ﷺ) لإبلاغ دعوته للناس، وأعده لهذه المهمة الصعبة، وأدبه فأحسن تأديبه، فكان له (ﷺ) القدح المعلّى فى البلاغة والبيان. واوتى جوامع الكلم كما أخبر عن نفسه (ﷺ) فجاء حديثه تفصيلاً لما أُنزل مجملاً فى القرآن الكريم، فلا عجب أن يقول الرسول (ﷺ) " واوتيت القرآن ومثله معه ". فالحديث لفظه لفظ الرسول ومعناه من عند الله، ولذلك نسب الرسول الفصاحة إليه فقال " أنا أفصح العرب، بيد أنى من قريش، ونشأت فى بنى سعد بن بكر.[١]

والقدر سر الله (ﷻ) فى كونه، وقد حجبه عن عقول الخلق ومعارفهم، لما علمه من الحكمة فلم يعلمه نبى مرسل، ولا ملك مقّرب [٢]، وهى من الأمور التى أجمل ذكرها القرآن الكريم.

---

(١) مقدمة الفائق فى غريب الحديث – ويراجع إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٢٧٣.

(٢) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى جـ ١١ ص ٤٧٧.

- فمتى يبدأ القدر؟ وكيف يكون؟ وفيم يظهر؟ وهل للمرء أن يغير قدره؟ كل هذه الموضوعات، بل أكثر منها تبحثها السنة المطهرة فى كتاب القدر لتفصل للناس ما غمض عليهم فى هذا الأمر بأسلوب راق، رائق، فصيح، بليغ فى مراعاته لأحوال المخاطبين، وموضوع الخبر.

وقد تم إختيار بعض أحاديث القدر بعناية لتفى بالغرض وتركز على الموضوع من حيث أن للقدر ( الذى هو سر الله فى كونه ) دلائل بينتها السنة، وأظهرتها للناس، ليرسخ إيمانهم به، وليرضى كل امرئ بما كتبه الله، ولا يسعى لأخذ حق غيره، وأن يراعىَ حق الله وحق الناس، ويؤدى لكل ذى حق حقه حتى يُحسَن له الختام.

وسنحاول ( إن شاء الله ) أن نتعرف على بلاغته (ﷺ) بدراسة تحليلية بلاغية لبعض ما ورد عنه (ﷺ) فى كتاب القدر فى صحيح البخارى.

**الباحثـــــة**

**د/ عــزة أحمــد مهــدى**

# تمهيـــــــد

**القــدْر لغة** : مبلغ كل شئ، يقال قَدْره كذا، أى مبلغه.

**وكذلك القَدَر** : وقَدَرت الشئ أَقْدِرُه، وأَقْدُرُه من التقدير، وقدّرته أُقدّره[1].

**قال الراغب** : " القدر بوضعه يدل على القـدرة، وعـل المقـدور الكـائن بـالعلم، ويتضمـن الإرادة عقـلاً والقـول نقـلاً، وحاصلـه وجود شئ فـى وقـت وعلـى حـال بوفـق العلـم والإرادة والقـول، وقـدّر اللـه الشـئ بالتشـديد قضـاه ويجـوز بالتخفيف[2].

**قال تعـــالى : " إنَّا كل شئ خلقناه بقدر[3]**. أى أن الله تعالى خالق كل شئ ومقدره.

وفى الفرق بين القضاء والقدر يقول الكرمـانى : المـراد بالقدر حكم الله[4].

**وقـال العلمـاء** : القضـاء هـو الحكـم الكلـى الإجمـالى فـى الأزل، والقـدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله[5].

---

(١) مقاييس اللغة ٥ / ٦٢.

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ٤٧٧/١١.

(٣) القمر ٤٩.

(٤) فتح البارى ٤٧٧/١١.

(٥) المرجع السابق.

وفى باب القدر فى صحيح البخارى، وردت أحاديث متعددة تبين أن كل شئ لا يقع فى الوجود إلا وقد سبق به علم الله ومشئيته، وتُساق هذه الأحاديث الشريفة على لسان خير البرية (ﷺ) فى أسلوب رائع مميز، تُختار فيه الألفاظ الملائمة للمعنى، والتى تنتشر جواً من التأثير النفسى، لا تنشره غيرها من الكلمات فى ذات الموقف المتحدث عنه.

وفيما يلى عرض تحليلى بلاغى لما تضمنته هذه الأحاديث، التى تتجلى فيها بلاغة النبى (ﷺ)، ولتفى بالغرض الذى سيقت من أجله، ألا وهو ضرورة الإيمان بقضاء الله وقدره، والعمل الجاد، مع العلم أن مقدرات الأمور بيد الواحد القهار.

# المبحث الأول

## ١- من باب القدر

" حدثنا شعبة أنبأنى سليمان الأعمش قال : " سمعت زيد بن وهب عن عبد الله قال : حدثنا رسول الله (ﷺ) وهو الصادق المصدوق قال : إن أحدكم يُجمع فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع برزقه وأجله، وشقى أو سعيد فوالله إن أحدكم أو الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وقال آدم إلا ذراع ".

### اللغـــــة :

**الجمـــــع** : ضم بعضه إلى بعض بعد الانتشار[١].

**النطفـــــة** : أصل النطفة، الماء الصافى القليل، والمراد بها " المنى"[٢].

**العلقـــــة** : يرجع أصل مادته " علق " إلى معنى واحد، وهو أن يناط الشئ بالشئ العالى[٣]. والمراد بها هنا : الدم الجامد الغليظ، وسميت بذلك للرطوبة التى فيها، وتعلقها بما مر بها[٤].

---

(١) فتح البارى ١١/ ٤٧٩. وقال القرطبى فى المفهم : المراد أن المنى يقع فى الرحم بقوة الشهوة المزعجة مثبوتاً متفرقاً، فيجمعه الله فى محل الولادة من الرحم - ينظر عمدة القارئ ١٤٦/٢٣.

(٢) مقاييس اللغة ٥ / ٤٤٠ ، وأساس البلاغة ٢٨١/٢.

(٣) مقاييس اللغة ٤ / ١٢٥ ، ولسان العرب مادة علق.

(٤) عمدة القارئ ٢٣ / ١٤٦.

**المضغـــة** : مقدار ما يُمضغ من اللحم وغيره[٥].

**يكـــون** : بمعنى يصير[٦].

**اللـــه** : علم على الذات الإلهية، وهو من التأله، أى التعبد، وسمى بذلك لأنه معبود[٧].

**ملكـــاً** : المراد منه الملَك الموكل بالأرحام[٨].

## المعنى :

أن الله – تعالى – قدر للبشرية مصيرها، فقد قُدّر للمرء طريق حياته، قبل ولادته، بل قبل تكوينه. ويسير معه قَدَرُه بخطوات ثابتة ماراً بجميع مراحل نموه الحسية، والمعنوية. فالحسى منها ما يظهر فى تكوينه الجسدى، والمعنوى هو ماله من رزق وأجل، وسعادة أو شقاء. وقد يظهر من المرء ما يوحى بنوع الخاتمة، ولكن يُختم له بغيرها مما قدره الله له.

## التحليل البلاغى والدراسة :

لاشك أن للصحابة (رضي الله عنهم) فصاحتهم، وبلاغتهم التى استقوا تعاليمها من رسول الله (ﷺ)، وقبل البدء فى التحليل البلاغى لألفاظ الحديث استوقفتنى جملة خبرية معترضة للمحدث، هى " **الصادق المصدوق** ".

---

(٥) لسان العرب مادة مضغ، وانظر أساس البلاغة ٢ / ٢١٧.

(٦) فتح البارى ١١ / ٤٧٩.

(٧) أساس البلاغة ١ / ٣٣ ، وينظر من بلاغة النظم العربى ٨٥/١.

(٨) عمدة القارئ ٢٣ / ١٤٦ ، وفتح البارى ٤٨٢/١١.

وقد تتكرر هذه الجملة فى أحاديث مختلفة ومتعددة، ولاشك أن لذكرها فى كل موقف مغزى، ينبغى الإشارة إليه، وفى هذا الحديث قال الكرمانى : " لما كان مضمون الخبر مخالفاً لما عليه الأطباء أراد الإشارة إلى صدقه، وبطلان ما قالوه "[1].

وذلك لأن الأطباء تصوروا الجنين فيما بين ثلاثين يوماً إلى الأربعين، والمفهوم من الحديث أن خلقه إنما يكون بعد أربعة أشهر.

بجانب هذا المغزى، نلاحظ ذكر المسند مع العلم به، لغرض الافتخار أو التبرك وجاء معرفاً بأل، ليفيد القصر، الذى يعتبر أحد طرق التأكيد للمعانى، وطريق من طرق الإيجاز بالحذف. و " أل " تشير إلى مذكور قبلها (الرسول) (ﷺ). فكان من شأنها ربط الأسلوب بعضه ببعض بحيث تجعله نابضاً بالحياة، لتوقظ الذهن، وتقوى الهمة، وتجذب انتباه المخاطب.

هذه جملة موجزة تكشف عن بلاغة الصحابة ( رضوان الله عليهم)، وإيجازهم فى الكلام، فإذا كان الأمر كذلك، فما بالُنا ببلاغة نبيهم، ومعلمهم (ﷺ) ؟!.

بدأ الحديث الشريف بالإستئناف البيانى : " قال إن أحدكم " الذى يدل على ثراء الأسلوب، ويدعو إلى التفكير، لوقوعه جواباً لسؤال مقدر، أى : ماذا قال ؟ والجواب : " قال إن أحدكم " ففصل بين جملة القول وما قبلها لشبه كمال الاتصال.

---

(١) فتح البارى ١١ / ٤٧٧

## يقول الإمام عبد القاهر :

وهكذا التقدير والتفسير أبداً فى كل ما جاء فيه لفظ " قال " هذا المجئ .... فما هو فى غاية الوضوح قوله تعالى : " قال فما خطبكم أيها المرسلون. قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين". وذلك أنه لا يخفى على عاقل أنه جاء على معنى الجواب، وعلى أن نُزّل السامعون كأنهم قالوا : " فما قال له الملائكة " ؟ فقيل : " قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين " [1].

" **إن أحدكم يُجمع فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة** " . أسلوب خبرى مؤكد بالحرف " إن " لغرابة الخبر واستبعاده، ولفت انتباه المخاطب، وفى هذا مراعاة لحال المخاطبين، والعناية بنوع الخبر الملقى إليهم، فقد يكون التأكيد من جهة أن القضية فى نفسها مما يُهتم به وإن لم يكن هناك منكر "[2].

ونرى النظم النبوى يريد أن يفهمنا أن جمع الجنين فى الرحم يكون بقوة القادر فأتى بالفعل : " يُجمع " مبنياً للمجهول، فحذف الفاعل ليدل على أنه بقوة قادر، إذ هو ضم أشياء دقيقة، لطيفة بعد انتشارها، وتكوين شئ عظيم منها وهو الإنسان، ولا يستطيع ذلك سوى صاحب القدرة جلّ وعلا.

---

(١) دلائل الاعجاز ٢٤١.

(٢) فتح البارى ١ / ٨١.

ولبيان الموضع الذى يتم فيه الجمع، أتى التعبير النبوى بلفظ " البطن" مجازاً فهو مجاز مرسل[1] علاقته الكلية، فالبطن كُل والرحم جزء منه، كما أن للبطن مزيد اختصاص بإعتبارها وعاء للرحم الذى يحمل الجنين، ووعاء لغيره من أحشاء المرء. كما أنها الصورة المحسوسة التى يراها الإنسان ويعرفها. لذلك كان التعبير بها أبلغ من لفظ " الرحم ". لتكمل فى ذهن السامع والقارئ صورة التجمع فى مكان يراه ويعرفه، فيتعانق الخيال بالمحسوس، فتتقرر الصورة فى الذهن " صورة الجمع " وصورة المكان الذى يتم به ".

بينما لا يؤدى التعبير بلفظ ( الرحم ) هذا المعنى. لجهل المخاطب بهيئة الرحم الذى يتم فيه الجمع الفعلى للجنين.

ويجوز أن يكون المجاز المرسل فى البطن علاقته المحلية، ولكن الكلية تؤدى معنى أكثر دقة فى هذا الموضع.

ولتزداد الصورة الكلية للنص بهاء ودقة يختار النظم النبوى الحرف " فى " للدلالة على تمكن الجنين فى الرحم. لأن " فى " للوعاء[2]، فدل بذلك على انغماس الجنين واستقراره داخل ذلك الجزء من البطن، حيث يؤدى معنى دقيقاً لا يتوافر لغيره من الحروف فى هذا الموضع.

---

(١) وهو من الأساليب التى جاءت فى الحديث ناصعة بارعة، لا بإقتصارها، والتصنع لها وتقويم ثقافها وتعديل أودها، وإنما بالفطرة المصطفاه، والطبع الموهوب، والتهيئة الإلهية، (الحديث من الوجهة البلاغية ص ١٩٥).

(٢) وهى الطرفية كما أطلق عليها صاحب البرهان (البرهان) فى علوم القرآن ٣٠٢/٤ ويراجع البلاغة العالية-علم المعانى- ٩٨.

**ومنه قوله تعالى :** " فى ظلمات ثلاث "[1] وفُسر بأن المراد ظلمه المشيمة، وظلمة الرحم، وظلمة البطن، فالمشيمة فى الرحم، والرحم فى البطن[2].

فأدى الحرف " فى " هذا المعنى الدال على الإنغماس والاستقرار والتمكن.

**قولـــه :** " أربعين يوماً نطفة " بيان للمدة التى يستقر فيها الجنين داخل رحم أمه على هذه الهيئة.

وقُدم العدد " أربعين " على الحال " نطفة " لإثارة اهتمام السامع وتشويقه قصداً لتقديره فى الذهن؛ وذلك لغرابة الخبر.

ولكى يشعرنا النظم النبوى بالمهلة بين النطفة، والعلقة[3] والمضغة، وهى مدة ( الأربعين يوماً ) عبر بـ " ثم " لدلالتها على الترتيب مع التراخى فى قوله : " ثم علقة ..... ثم يكون مضغة ..... ".

وقوله " مثل ذلك " إشارة إلى مدة الأربعين يوماً.

وهو تشبيه لمقدار المدة التى تقضيها العلقة فى رحم الأم بمقدار المدة التى تقضيها النطفة.

" **يكون** " بمعنى يصير، ومعناها : أنها تكون بتلك الصفة مدة الأربعين، ثم تنقلب إلى الصفة التى تليها، ويحتمل أن يكون المراد تصييرها شيئاً فشيئاً، فيخالط الدم النطفة فى الأربعين الأولى بعد انعقادها وامتدادها، وتجرى فى أجزائها شيئاً فشيئاً حتى تتكامل علقة فى أثناء الأربعين، ثم يخالطها اللحم شيئاً فشيئاً إلى أن تشتد فتصير مضغة،

---

(١) الزمر (٦).

(٢) فتح البارى ١١ / ٤٨١.

(٣) اكتشف أطباء العصر الحديث دقة التعبير القرآنى، والنظم النبوى فى تعبيره بألفاظ ملائمة للمعنى، حيث وجدوا هذا الدم الجامد المعلق برحم الأم يشبه المخطاف، ليتمكن من الثبات والتعلق بجدار الرحم.

ولا تسمى علقة قبل ذلك ما دامت نطفة، وكذا ما بعد ذلك من زمان العلقة والمضغة[1].

والتعبير بلفظ " يكون " أدق من لفظ " يصير " لما يوحى به من معانى القدرة، والخلق من عدم، الذى عبر به النظم القرآنى فى قوله تعالى :

**" إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون "**

**يس ٨٢**

**وقوله تعالى :**

**" وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون "**

**البقرة ١١٧**

فالآيات الكريمة تؤكد دقة اختيار النظم النبوى للفظة " يكون " لما توحيه من قوة القادر وإرادته، وسبق قضائه وقدره للأمور، ثم أمرها بما تصير إليه من حال. وهذا فى أعلى درجات البلاغة.

**قوله : " ثم يبعث الله ملكاً "**. تعبير بالمضارع؛ لاستحضار الصورة الماضية. ودلالته على تجدد هذا الأمر وحدوثه فى كل حَمْل، ومع كل وليد.

**و" الله"** علم على الذات اللإلهية بإتفاق العلماء، وهو لفظ يوحى بجميع مشخصات الألوهية من قدرة وإرادة، وعلم وغيرها[2].

---

(١) فتح البارى ١١ / ٤٨١.

(٢) مقاييس اللغة ١ / ١٢٧ ، ومن شروح التلخيص ١ / ١٩١.

وذكر المسند إليه " الله " علم بدلاً من الضمير للتلذذ، مع ما يتضمنه من قوة التأثير.

## يقول ابن يعقوب :

ومن هذا المعنى يطال الكلام مع الأطباء، وأشراف القدر، تعظيماً بكلامهم، وتشرفاً بخطابهم، وتلذذاً بسماعهم[1].

ولكى يدل النظم النبوى على عظمة الملك وقدرته أتى به منكراً، " **ملكاً** ". وجملة " **فيؤمر بأربع برزقه وأجله وشقى أو سعيد** " إيجاز بحذف الفاعل، والمضاف إليه" المعدود " أى فيأمر الله بأربع كلمات أو أربع أمور[2].

وللإيجاز منزلة عالية، ومقام رفيع فى البلاغة. أشاد به العلماء وأثنى عليه أرباب البيان.

## وفيه يقول الإمام عبد القاهر :

( هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة. أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبن[3] ).

وترى النظم النبوى يشوق القارئ أو المتلقى، فاستعمل أسلوب الإجمال فى " أربع " ثم تفصيله فى " برزقه وأجله ..... ".

---

(١) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ١ / ١٨٥.

(٢) يراجع عمدة القارى ٢٣ / ١٤٦ ، وفتح البارى ١١ / ٤٨٢.

(٣) دلائل الإعجاز ١٤٦.

وهذا أحد طرق الإطناب التى تظهر المعنى فى صورتين مختلفتين إحداهما مبهمة، والأخرى موضحة مبينة، فالإيضاح والإبهام، يُمكِّن المعنى فى النفس، لأن المعنى إذا ألقى مجملاً، تشوقت النفس إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح(١).

ونلاحظ اجتماع الإيجاز " فيؤمر " مع الإطناب " بأربع برزقه وأجله ..... " وهو ما يسمى بالاعتدال، أو التوسط بين الإيجاز والإطناب، الذى يمنح الكلام قوة، وتنوعاً، ويزيد من رونقه وبهائه.

**يقول ابن يعقوب :**

**وهذان الوجهان** : أعنى بروز الكلام فى معرض الاعتدال، وإيهامه أن فيه الجمع بين متنافيين، مفهومهما مختلف، لاشك أن كلا الوجهين مما يستطرف وتستلذه النفس(٢).

ثم عودة إلى الإيجاز بحذف المسند إليه للعلم به فى قوله : " وشقى أو سعيد " والمراد منه ( الجنين ).

وفى تأمل دقيق لجملة " يرزقه وأجله وشقى أو سعيد " نلاحظ اختلاف أدوات العطف، فجمع بين الرزق والأجل بالواو، لجواز اجتماعهما فى ذات واحدة، وإنما قُدم الرزق على الأجل، لأنه الوسيلة للحياة، والأجل هو ختام الحياة.

بينما اختار النظم النبوى الحرف (أو) للوصل بين الشقاء والسعادة، وذلك لما تؤديه من معنى لطيف فى هذا الموضع وهو المغايرة، فإما أن يكون الإنسان سعيداً، أو شقياً باعتبار ما يُختم له.

---

(١) شروح التلخيص ٣ / ٢٠٩ ويراجع لباب المعانى ٢ / ١٨٣.

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ٣ / ٢١٥.

**وقوله** : " برزقه وأجله وشقى أو سعيد " بدل اشتمال من أربع، ففصل بينهما لكمال الاتصال.

ولاشك أن إجتماع الإطناب، والفصل فى جملة واحدة يدل على سعة أفق المتحدث وعلو مرتبته البلاغية، وكيف لا ؟! وهو (ﷺ) أفصح العرب بلا منازع.

ولكن بشئ من التأمل نجد أن ظاهرها أربع كلمات، بينما هى ثلاث أمور لا رابع لها فالرزق ( إما قليل أو كثير )، والأجل ( إما طويل أو قصير ) والإنسان ( إما شقى أو سعيد ).

وربما يكون الأمر الرابع هو كونه ( ذكراً أو أنثى ) بدليل قوله فى حديث لاحق.

: " ..... فإذا أراد الله أن يقضىَ خلقها قال : أى رب ذكر أم أنثى، أشقى أم سعيد فما الرزق، فما الأجل، فيُكتب كذلك فى بطن أمه "[1].

**قوله** : " فوالله إن أحدكم أو الرجل يعمل بعمل ..... " أسلوب إنشائى غير طلبى[2].

والفاء للعطف أو للتعليل. والتعليل تحمل معنى ألطف، وخاصة أنها ذكرت بعد قوله " وسعيد أو شقى، فكأنه قيل بسبب سعادة المرء يظل يعمل بعمل أهل النار ثم يُختم له بغير ذلك فيدخل الجنة. والعكس فى الشقى فبين بذلك أن شقاء المرء وسعادته بحسب ما يُختم له مما قدره الله، لا بغناه وفقره، أو ملكه وجاهه كما يظن بعضهم.

---

(١) عمدة القارئ ٢٣ / ١٤٦، فتح البارى ١١ ، ٤٧٧.

(٢) هو ما لا يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، كأساليب المدح، والذم، والقسم، والتعجب. وهذا النوع ليس مجال بحث عند البلاغيين.

ويمكن القول أن جملة " **فوالله إن أحدكم** " مؤكدة بالقسم وإن. والأصل فى التأكيد أن يكون لمخاطبة المنكر، أو الخبر المستبعد، أو من يتوهم فيه شئ من ذلك، ولما كان هنا مستبعداً وهو :

( دخول من عمل الطاعة طول عمره النار وبالعكس ) حَسُن المبالغة فى تأكيد الخبر بذلك[1].

والقسم من المؤكدات اللفظية القوية، كان عليه السلام يؤكد به ما يستحق المقام تأكيده من المعانى[2].

" **إن أحدكم أو الرجل** " شك من الراوى [3].

" **يعمل بعمل** " جناس اشتقاق [4] لتحسين الإيقاع.

والمراد ممن يعمل بعمل أهل النار. هو العاصى الذى يفعل ما لا يرضاه الدين ظاهراً وهو على إسلامه، وقد تحسن نيته فيُختم له بعكس ما يعتقد الناس.

قوله : " حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع " أى ما يكون بين هذا الرجل وبين النار غير .....

" **غير باع أو ذراع** " استعارة تمثيلية، أراد بها الرسول (ﷺ) أن يبين قرب حال المرء من الموت وهو على هيئة أهل النار فيحال بينه وبينها.. فصور هذا القرب بصورة حسية يعرفها المخاطب، ويتمكن من رسمها فى مخيلته، وهى ( الباع أو الذراع ).

---

(١) فتح البارى - بتصرف - ١١ / ٤٨٧.

(٢) الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية ١٠٤.

(٣) عمدة القارئ ٢٣ / ١٤٦.

(٤) هو أن يكون اللفظان لهما أصل واحد فى اللغة. كقول الشاعر :

إن تر الدنيا أغارت ونجوم السعد غارت

فصروف الدهر شتى كلما جارت أجارت

فن البديع ١٢٠.

ولاشك أن للإستعارة دور بارز فى تحريك خيال المخاطب، واعطائه الفرصة للتأمل والتفكير فى مقدار المسافة المسموح بها للعمل على الهيئة التى يُظن أنه سينهى حياته عليها، فإذا بالمرء يُختم له بأمر آخر يناقض ما كان عليه فى حياته. وهذا يؤكد قول الرسول (ﷺ).
" إنما الأعمال بالنيات " وقوله (ﷺ) " كل يعمل لما خُلق له ".

والاستعارة كما يقول الإمام عبد القاهر : تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ، وترى بها الجماد ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والمعانى الخفية بادية جليلة، إن شئت أرتك المعانى اللطيفة التى هى من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون [1].

وفى تقديم الباع على الذراع معنى لطيف، يوحى بأن المرء لا محالة ملاق ما قُدر له، ولو وصل إلى الذراع وهو أقل من الباع. وفيه كناية عن قرب إنتهاء أجله.

" **فيسبق عليه الكتاب** " أى يغلب عليه القضاء. والفاء للسببية أى بسبب قرب إنتهاء أجله على تلك الهيئة يسبق الكتاب عليه ليلق ما قُدر له.
" سبق الكتاب " أى سبق ما تضمنه [2]، وفيه إيجاز بحذف المضاف. وقيل عبر بالكتاب وأراد المكتوب. والمعنى أنه يتعارض العمل مع المكتوب فيتحقق مقتضى المكتوب [3].

وقد أفاد تقديم الجار والمجرور " عليه " القصر، أى قصر سبق الكتاب على من وافاه أجله. وذلك لتقريره وتأكيده. وهو من القصر الإضافى[4].

---

(١) أسرار البلاغة ٢٩، ويراجع تربية الذوق البلاغى عند عبد القاهر ٥٧٦.
(٢) فتح البارى ١١ / ١٨٧.
(٣) المرجع السابق.
(٤) يراجع تربية الذوق البلاغى عند عبد القاهر ٤٢٦ ، ٤٢٧.

قوله : " **فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها** " أى بسبب سبق الكتاب أو غلبة القضاء والمكتوب، يعمل أهل النار بعمل أهل الجنة فيدخلها.

ويظهر صحة التقسيم [1] المرشحة بالطباق بين الجنة والنار فى الجملتين.

" والله إن أحدكم ..... " " وإن الرجل ليعمل بعمل ..... "

والتأكيد بإن واللام تبعاً للتأكيد السابق فى " فوالله إن أحدكم حيث نزل غير المنكر منزلة المنكر نظراً لاستبعاد الحكم المشتمل عليه.

وهكذا ينتهى الحديث النبوى الشريف، بما اشتمل عليه من ألوان بلاغية مختلفة كالإيجاز بالحذف، والتأكيد، والفصل والوصل، والخبر والإنشاء، والاستعارة، والمجاز المرسل، والطباق وصحة التقسيم.

كما اشتمل على حسن الابتداء فى مراعاة نوع الخبر وحال المخاطبين من حيث التأكيد وعدد المؤكدات. وأنه يجوز القسم على الخبر الصدق تأكيداً فى نفس السامع.

كما يظهر فى النظم النبوى حُسن التخلص من فكرة الى فكرة فى براعة وسهولة وذلك فى الإنتقال من البداية إلى الغرض من الحديث؛ ( سبق الكتاب على كل امرئ حتى يدخل مكاناً غير ما هو ظاهر له ).

ثم حُسن الانتهاء الذى يؤذن بإنتهاء الكلام دون خلل أو نقص.

وقد تبين من خلال هذا النظم النبوى البليغ، أن مصير الأمور فى العاقبة إلى ما سبق به القضاء، وجرى به القدر أولاً.

وأن السعيد قد يشقى، والشقى قد يسعد فى الأعمال الظاهرة، أما ما فى علم الله فلا يتغير منذ قدّره الله قبل تكوينه.

ولكن ما الدليل على عدم تغير حكم الله المكتوب ؟

هذا ما يوضحه المبحث الثانى من كتاب القدر.

---

(١) هو استيفاء المتكلم أقسام الشئ بحيث لا يغادر شيئاً . فن البديع ٧٦.

# المبحث الثانى

## من باب جف القلم على علم الله :

**قال أبو هريرة** : قال لى النبى (ﷺ) : جف القلم بما أنت لاق.

## اللغـــــــة :

**جف** : من قولك جف الشئ جفوفاً يجف، ومن المجاز : فلان لا يجف لبده إذا لم يفتر عن سعيه[1].

**يقول ابن الأثير** : منه " جفت الأقلام وطويت الصحف " يريد ما كتبه فى اللوح المحفوظ من المقادير والكائنات. والفراغ منها تمثيلاً بفراغ الكاتب من كتابته ويبس قلمه[2].

## المعنى :

يشير الحديث إلى أن ما كتب فى اللوح المحفوظ لا يتغير حكمه، وسيعيش المرء مختاراً أعماله وفق طباعه خيراً كانت أم شراً، ولكن لن يختم له إلا بما سبق به علم الله فى اللوح، فهو تعالى خالقنا وهو أعلم بنا منَّا.

## التحليل البلاغى والدراسة :

أراد الرسول (ﷺ) أن يعبر عن فراغ الكتابة، وإنتهائها فى اللوح المحفوظ، إذ أنه لن يتغير مصير إنسان منذ كتبت له الحياة على الأرض. فقد سبق علم خالقه بطبيعته، وطبيعة تكوينه، ورغباته، ونزعاته، وكُتب له فى صحيفته طريق حياته من قبل بدئها إلى نهايتها. وكُتب له خاتمته

---

(١) مقاييس اللغة ١ / ٤١٦ ، وأساس البلاغة ١ / ١٤٢.

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر ١ / ٢٧٨ / ٢٧٩.

إلى قيام الساعة وهكذا، ولا يسير المرء وفق هذه المقدرات دون اختيار أو دون وعى منه، بل تُرك له ( مع ذلك ) طريق الخير، وطريق الشر ( فالحلال بيّن والحرام بيّن) فيختار منها ما يتوافق وطبيعته التى خلقه الله عليها، وسبق علمه بها.

وللتعبير عن تلك المعانى اختار النظم النبوى أسلوب الكناية، وهو من أروع المسالك البيانية، والطرق الأسلوبية التى يعبر بها عن المعنى تعبيراً مُظلاً هادفاً موجزاً يخفى تحت ظلاله لطائف مراده.

وقد عرفوها بقولهم : لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه(١).

فجفاف القلم كناية عن الفراغ من الكتابة؛ لأن الصحيفة حال كتابتها تكون رطبة أو بعضها، وكذلك القلم، فإذا انتهت الكتابة جفت الكتابة والقلم. وقال الطيبى هو من إطلاق اللازم على الملزوم، لأن الفراغ من الكتابة يستلزم جفاف القلم عن مداده(٢).

ويرجح أن يكون " **جف القلم** " استعارة مكنية حيث استعار فراغ الكاتب من كتابته ويبس قلمه لفراغ الملك من كتابة الأقدار فى اللوح المحفوظ ثم حذف المستعار منه ورمز إليه، بالجفاف الذى يدل على الإنتهاء التام من الكتابة.

أو هى تمثيلية على قول ابن الأثير(٣).

---

(١) من شروح التلخيص ٤/ ٢٣٧.

(٢) فتح البارى ١١ / ٤٩١.

(٣) النهاية فلا غريب الحديث والأثر ١ / ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٣) وهذا يأتى من أن اللفظ لا يقتصر على دلالة واحدة، بل تتنوع دلالته إلى دلالة مطابقة، ودلالة تضمن، ودلالة التزام. ودلالة على مستتبعات التراكيب من المعانى الثانوية التى يبحث عنها هذا العلم، وهو يدل بالتضمن وما بعده على أكثر مما يدل عليه بالمطابقة. ( انظر البلاغة العالية ١٢٢، وانظر الحديث من الوجهة البلاغية ٤٤٩).

والجملة أسلوب خبرى ألقى بلا مؤكدات، فقصد منه إفادة الخبر لخالى الذهن عن مضمون هذا الخبر.

والعبارة موجزة، تبعث على التأمل فى مصير البشرية الذى تحدد وانتهى ولا راد له.

ويعتبر الحديث من الإيجاز بالقصر[1]، الذى تكثر فيه المعانى مع قلة الألفاظ من غير حذف.

وقد يبعث ظاهره على التيئيس! فمن يفعل الشر يظن أنه قد كُتب له ذلك ولا رادّ له فيستمر فى فعله. وإذا به ينتهى ويُختم له بعكس ذلك.

وقد يحصل العكس. فمن يفعل الخير يظن أنه ناج لا محالة، وقد يأخذه الكبر والغرور، فيختم له بعكس ظنه.

فالله سبحانه يحاسبنا على أعمالنا الباطنة، والنيات التى هى محلها القلب ولا يطلع عليها سوى مقلب القلوب.

ولكن إذا كان الأمر كذلك فلِمَ يعمل العاملون؟!. هذا ما يوضحه الحديث اللاحق.

حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا يزيد الرِّشك قال : سمعت مطرف بن عبد الله بن السِّخير يُحدث عن عمران بن حصَين قال قال رجلٌ يا رسول الله أيُعرفُ أهل الجنة من أهل النار ؟ قال نعم قال فلِمَ يعملُ العاملون ؟ قال كل يعملُ لما خُلق له أو لما يُسَّر له.

## اللغـــــة :

**خَلَـــــق** : من خَلَق الخراز الأديمَ. والخياط الثوب : قدره قبل القطع، ومن المجاز خلق الله الخلق : أوجده على تقدير أوجبته الحكمة، وهو رب الخليقة والخلائق(١).

**لما يُســـر له** : أى لما هُيئ له على سبيل المجاز. فأصل التيسير التسهيل. يقال يَسَر الأمر ويَسُر وتيسَّر واستْيسر ويسَّره الله تعالى وياسره : ساهله. وأمر يسير : غير عسير " إن مع العسر يسرا " (٢).

## المعنى :

بعد أن عرف الصحابة (ﷺ) أن ما كتب الله فى اللوح المحفوظ لن يتغير، وأن مصير المرء قد سبق بقضاء الله وقدره، يتساءلون عن سر احتياج المرء للعمل بعد كل ذلك. ويجيب الرسول (ﷺ) فى جملة موجزة جامعة مانعة، مفادها أن مصير الإنسان وما يؤول إليه من جنة أو نار إنما هى خافية محجوبة عنه، وعليه أن يجتهد فى عمله فيؤدى ما عليه من طاعة وعبادة، ويحسن معاملاته إلى غير ذلك من الأمور الدنيوية، قدر استطاعته، وقدر توفيق الله له، فإنَّ عمله غالباً ما يكون علامة إلى ما يؤول إليه أمره مع إخلاص النية.

---

(١) أساس البلاغة ١ / ٢٦٤.

(٢) أساس البلاغة ٢ / ٢٨٩.

## التحليل البلاغى والدراسة :

جملة القول " **قال رجل** " استئناف بيانى لجملة " حدثنا " لوقوعها جواباً لسؤال مقدر اقتضته الجملة الأولى. فبينهما شبه كمال الاتصال. وهذا أيضاً من الإيجاز بحذف السؤال الذى أراده السائل.

وتنكير المسند إليه " **رجل** " لغرض القصد بالحكم إلى فرد غير معين، إذ الغرض لم يتعلق بتعيينه، فهو بمثابة قول الله تعالى : " وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى "[1] حيث نكر المسند إليه لأن الغرض اثبات الحكم لفرد واحد من أفراد الرجال، وليس الغرض تعيينه[2].

ونداء الرسول (ﷺ) بأداة النداء ( يا ) للبعيد مع قربه(ﷺ) من السائل، لعلو شانه (ﷺ) وبُعد منزلته، وتنزيلاً لبعد منزلته منزلة البعد فى المكان.

وولى النداء الاستفهام فى " **أيعرف أهل الجنة من أهل النار**"؟ تشويقاً، واستدراجاً لتقرير الحكم.

والمراد من المعرفة التمييز بينهما، والتفرقة تحت قضاء الله وقدره[3].

**والمعنى** : هل سَبَق قضاء الله وقدره، ومُيزَّ مكان كل منهما ( أهل الجنة وأهل النار )؟

" **قال** : نعم استئناف بيانى لما قبله. أى ماذا قال رسول الله (ﷺ) ؟ ثم فُصل بينها وبين ما بعدها " **قال فلِمَ يعمل العاملون** "؟ للإستئناف البيانى أيضاً. والجناس الاشتقاقى بين " يعمل، العاملون " يعطى المعنى رونقاً، والألفاظ تنوعاً وقوة.

---

(١) القصص ٢٠

(٢) شروح التلخيص ٢ / ٩١ ويراجع لباب المعانى ١ / ٢٠١.

(٣) عمدة القارى ٢٣ / ١٤٨.

ويعود للفصل بين جملتى القول لشبه كمال الاتصال " الإستئناف البيانى ".

ولا يخفى ما أفاده الفصل بين الجمل من تقرير المعنى وتوضيحه، ودفع الشك عنه، فضلاً عن الإيجاز بحذف السؤال. الذى يشعر القارئ فيها بإستعجال السائل لمعرفة الجواب حتى تهدأ نفسه وتستقر حاله.

وقد تناول سيبويه فى الكتاب " هذا النوع من الفصل[1].

وتكرر كثيراً فى القرآن الكريم. وتحدث عنه الإمام عبد القاهر ومثّل له بعدة أمثلة من القرآن الكريم كقوله :

" واعلم أن الذى تراه فى التنزيل من لفظ قال " مفصولاً " غير معطوف، هذا هو التقدير فيه، والله أعلم. أعنى مثل قوله تعالى : ( هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين. إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلامٌ قومٌ منكرون. فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين. فقربه إليهم قال ألا تأكلون. فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف " الذاريات ٢٤/٢٨.

جاء على ما يقع فى أنفس المخلوقين / من السؤال. فلما / كان فى العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم : " دخل قومٌ على فلان فقالوا كذا "، أن يقولوا : " فما قال هو ؟ ويقول المجيب " قال كذا "، أخرج الكلام ذلك المخرج لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه، وسلك باللفظ معهم المسلك الذى يسلكونه[2].

" كلٌ " للإستغراق، والتنوين بدل من المضاف، فالكلام على حذف المضاف أى ( كل واحد)[3]. والتعبير بالفعل " يعمل " لدلالته على التجدد والحدوث ".

---

(١) الكتاب ١/ ٢٢٥ / ٢٢٦.

(٢) دلائل الإعجاز ٢٤٠.

(٣) انظر البرهان فى علوم القرآن ٤ / ٣١٧.

كما حُذف الفاعل إيجازاً فى " خُلق " للعلم به، فهو الخالق، وهو العليم بسر خلقه.

وفيه استعارة تبعية فى الفعل " خُلق " حيث استعير تقدير الثوب قبل القطع، إلى الإيجاد على تقدير أوجبته الحكمة. بجامع حُسن التدبر قبل العمل. ثم حذف المستعار له، واشتق من ( الخلق ). " خُلق " المبنى للمجهول.

**وقوله : " لما يُسر له "** أى لما هُيئ له[1]. استعارة تبعية، حيث استعير تسهيل الأمر للتهيئة له، ثم حذف المستعار له، واشتق من ( التيسير ) " يُسر " المبنى للمجهول.

وعليه فقد اختلف المراد من اللفظتين فى النظم النبوى " خُلق "، و " يُسر " لذلك عُطف بينها بـ (أو) للمغايرة. فكل إنسان إما أن يعمل لما أوجده الله له، أى بالسبب الذى أوجده من أجله. أو يعمل لما هَيأه الله له، سواء كانت التهيئة فى التكوين الجسدى، أو فى أسلوب الحياة وطبيعتها واستجابته النفسية للأمور.

وقد تكون " أو " بمعنى ( الواو )[2] فكل إنسان يعمل لما أوجده الله من أجله ولما هيأه له. وهى معان دقيقة تحتاج إلى فكر وتأمل.

وبهذا ينتهى الحديث، الذى حَسُن فيه الإبتداء بلفظ ( كل ) للإستغراق، والتعميم وما يوحى به من قطع طريق الشك أو الظن بغير ذلك. مما يزيد المعنى وضوحاً وتقديراً.

كما حَسُن الانتهاء بلفظ ( التيسير )، الذى يعطى للسامع أو المتلقى راحة نفسية، وثقة تامة فيمن يُهيئ الأمور وييسرها.

---

(١) أساس البلاغة ٢ / ٣٨٩.

(٢) انظر البرهان فى علوم القرآن ٤ / ٢٠٨ ومغنى اللبيب ١ / ١١١

والرسول (ﷺ) يراعى هذا الجانب النفسى فى كلامه مع أمته.

وتقديمه (ﷺ) الخلق على التيسير على الرغم من إرادة المعنى المجازى فيهما، ليفهمه العامة والخاصة، كل على قدر.

فالخلق يسبق التيسير، كما يفهمه العامة. والإنسان يُخلق ثم يُيسر له الطريق.

فيا لها من دقة رائعة، وبلاغة بالغة، لم تصدر عن تكلف ولا تعنت ولا استدعاء للمعانى، وإنما تسير الألفاظ فيها فى مجرى سلس عذب يدنو حتى يقترب من العامة، ثم يعلو ويسمو فيشبع رغبات الخاصة فى التأمل والاستنباط.

# المبحث الثالث

## من باب وكان أمر الله قدراً مقدروا.

حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك عن أبى الزّناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ) لا تسأل المرأة طلاق أُختها لتستفرغ صحفتها ولْتنكح فإن لها ما قُدّر لها.

### اللغـــــة :

**تســـــتفرغ** : يقال فَرَغ فراغاً وفرُوغاً . يدل على خلو وسعةِ ذرْع وهو خلاف الشغل[1].

**صحفتهـــــا** : الصحفة : القصعة المسّلنطحِة. من صحف الدال على إنبساط وسعة فى شئ[2].

### المعنى :

ينهى الرسول (ﷺ) أن تطلب إمرأة من الرجل طلاق زوجته ليفرغ لها، فلن تنال سوى ما قدره الله لها فى اللوح المحفوظ سواء أجابها لطلباها أم لا. وهذا النهى من باب حرص الإسلام على الصلة والترابط الأسرى وعدم التفكك.

---

(١) مقاييس اللغة ٤ / ٤٩٣.

(٢) أساس البلاغة ١ / ٥٣٨ ، والمقاييس ٣ / ٣٣٤.

## التحليل البلاغى والدراسة :

تعددت مواضع الفصل والوصل بين الجمل فى الحديث. وهو نوع خاص من بلاغة التراكيب جعله الإمام عبد القاهر من أسرار البلاغة حيث قال :

" فما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه إنه خفى غامض، ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب ..... [1].

فقد بدأ الحديث بجملة القول " قال رسول الله (ﷺ). وهى استئناف بيانى تأتى أهميته من حيث وضعه وضعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله وأتى فيه مأتى ما ليس قبله كلام ". [2]

هذا فضلاً عن الإيجاز الذى يوحى به حذف السؤال المقدر.

فقد قال بعضهم البلاغة : الإيجاز، وقالوا " معرفة الفصل والوصل ".

ووصلت جملة : " ولتنكح " بجملة " لتستفرغ صحفتها " لإتفاقهما فى الخبرية لفظاً ومعنى، واتحاد المسند إليه فيهما، ووجد الجامع بينهما. إذ تعتبر الثانية " ولتنكح " مسببة عن الجملة الأولى وهو ما يسمى بالتوسط بين الكمالين.

وافتتاح الكلام بالنهى " لا تسأل " لفتاً للإنتباه، وإثارة الاهتمام وتعجيلاً بالحكم قصداً لتقديره.

والنهى فى الحديث إما على حقيقيته فيكون المراد طلب الكف عن هذا الفعل على جهة الاستغلاء.

وإما أن يخرج النهى عن المعنى الحقيقى لغرض بلاغى يستشعره الذوق وهو تحقير هذا الأمر، وتحقير فاعله.

---

(١) دلائل الإعجاز ٢٣١ وانظر تربية الذوق البلاغى عند عبد القاهر ٤٩٥.

(٢) دلائل الإعجاز ٢٣٦.

وجاء المسند إليه فى الحديث معرفاً بأل فى ( المرأة ) وبالإضافة فى ( طلاق أختها ).

وأل فى ( المرأة ) للإستغراق العرفى[1]. أى المرأة التى تأتى بهذا الفعل. وليس المراد كل النساء.

## يقول الخطيب القزوينى :

كقولنا " جمع الأمير الصاغة " إذا جمع صاغة بلده أو أطراف مملكته فحسب، لاصاغة الدنيا[2].

فالصاغة بحسب حقيقتها شاملة لجميع صاغة الدنيا، لكن القرائن خصتها بصاغة بلد الأمير، أو صاغة مملكته. إذ يعلم العقل أن الأمير لا يقدر على جمع صاغة الدنيا[3].

وأفادت الإضافة فى ( طلاق أختها ) الإيجاز : فبدلاً من قوله ( طلاق الزوج من زوجته التى هى فى عصمته لتستفرغ صحفتها ) عبر بالتعريف بالإضافة لأنه أخصر إلى إحضاره فى ذهن السامع. فيصل إلى المراد فى سرعة وتركيز.

وذكر الأخت مقترناً بضمير الغيبة " أختها " يراد منه الأخت فى الدين لا الأخت الشقيقة[4]. وفى إضافتها للضمير معنى لطيف، إذ ينبغى أن تضع المرأة نفسها مكان أختها، وشقيقيتها، فلا ترضى أن تفعل بها ما لا ترغب لنفسها. وفى ذلك ترقيق لقلب المرأة على أختها، فليس أقوى من صلة الأخت بأختها ليؤدى هذا المعنى.

---

(١) هى التى يكون مدخولها مراداً به كل فرد يتناوله اللفظ عرفاً.

(٢) بغية الإيضاح ١ / ٧٢.

(٣) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص ( بتصرف ) ١ / ٣٣١.

(٤) عمدة القارئ ٢٣ / ١٥٠.

ثم صور النظم النبوى رغبة المرأة التى تسأل هذا الأمر للتمتع بمفردها. بإستعارة تمثيلية بديعة يمتزج فيها المعقول بالمحسوس لرسم صورة واضحة فى ذهن السامع. حيث شبه النصيب والبخت بالصحفة، وشبه الحظوظ والتمتع بما يوضع فى الصحفة من الأطعمة اللذيذة، وشبه الإفتراق المسبب عن الطلاق بإستفراغ الصحفة عن تلك الأطعمة.

ثم ختم الحديث الشريف بجملة قاطعة مانعة، وشافية مجيبة على كل سؤال يخطر فى ذهن السامع حيث قال (ﷺ). " **فإن لها ما قُدّر لها** "

إشارة إلى أنها، وإن سألت ذلك وألحت فيه واشترطته، فإنه لا يقع من ذلك إلا ما قدره الله تعالى.

وهذه دعوة ليرضى الإنسان بما قسمه الله له. وليضع نفسه موضع غيره، لعل فى ذلك خير له.

وتأكيد الخبر بمؤكد " إن " استحساناً لمراعاة حال المخاطب، ودفع ما عليه من شك وريبه فى هذا الجانب.

وبناء الفعل للمجهول من الإيجاز بالحذف لتقرير الحكم وتأكيده.

والجملة الخبرية تحمل معنى القصر كأنه قيل : " ليس لها إلا ما قدر لها ".

وفى هذا إيجاز وتأكيد، وقطع للشك.

وبهذه الخاتمة الرائعة، ينهى الرسول(ﷺ) الحديث، بما اشتمل عليه من ألوان بلاغيةينتمى أكثرها إلى علم المعانى حيث الإنشاء، والخبر وتأكيده، والإيجاز بالحذف المطابق لمقتضى الحال، والفصل والوصل، وتعريف المسند إليه (بأل ) و ( بالإضافة ).

ولم يخل الحديث من الخيال الذى يقرب المعنى، ويوقظ الذهن للتدبر والتأمل حيث جاءت الاستعارة التمثيلية تصور المرأة التى تسأل طلاق أخرى بمن تستحوذ على إناء ليس لها، وتفرغ ما فيه وتأخذه لنفسها.

فهى عملية سلب حق الغير مصورة بصورة بيانية بديعة تدعو الفكر لتقبيح فعل هذه المرأة.

ثم المحسنات البديعية التى تضفى على ا لكلام رونقاً، وتكسب الألفاظ قوة وجمالاً حيث اشتمل الحديث على حسن الابتداء بالنهى فى " لا تسأل ..... " لجذب الانتباه إلى سوء الفعل.

وأسهم الطباق بين " الطلاق "، " ولتنكح " بقسط فى إظهار المعنى وتقريبه للذهن. ثم حُسن التخلص فى بيان سبب طلب الكف، ثم حسن الإنتهاء بعرض قضية مسلمّ بها، ولا يُسمح للجدال فيها. فلا رادّ لقدر الله.

## قال ابن عبد البر :

هذا الحديث من أحسن أحاديث القدر عند أهل العلم لما دل عليه من أن الزوج لو أجابها وطلق من تظن أنها تزاحمها فى رزقها فإنه لا يحصل لها من ذلك إلا ما كتب الله لها سواء أجابها أو لم يجبها، وهو كقوله تعالى : " قل لن يصيبنا إلا ما كتَبَ اللهُ لَنا " (١).

حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزُهرىّ قال أخبرنى عبد الله بن محيريز الجُمحى. أن أبا سعيد الخدرى أخبره أنه بينما هو جالس عند النبى (ﷺ) جاء رجل من الأنصار فقال يا رسول الله، إنا نصيب سَبْياً ونحب المال كيف ترى فى العَزْل. قال رسول الله (ﷺ) أوَ إنكم تفعلون ذلك؟ لا عليكم ألا تفعلوا. فإنه ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هى كائنة".

(١) فتح البارى ١١ / ٤٩٥.

## اللغـــــــة :

**نصيـــــــــب** : يدل فعله على نزول شئ واستقراره قرارَه. من ذلـك الصَّـواب فى القول والفعل. كأنه أمرٌ نازلٌ مستقرٌ قراره. وهو خـلاف الخطأ. ومنه الصَّوْب وهو نزول المطر(١).

**سَبْيـــــــــاً** : السبى أخذ شئ من بلد إلى آخر كُرْهاً. يقال سبى الجارية سَبْياً فهو ساب والمأخوذة سبيَّة (٢).

**العـــــــــزل** : يدل على تنحية وإمالة. تقول : عزل الإنسان الشئ يعزِلُه، إذا نحاه فى جانب. والرجل يَعْزِل عن المرأة إذا لم يرد ولدها(٣).

**نســـــــــمة** : الفعل نسم يدل على خروج نَفَس، أو ريح غير شديدة الهبـوب. ونَفَس الإنسان نسيم.... ويقولون من أين مَنْسِمُك أى من أين وجهتك. والقياس واحد، لأنه إذا أقبلَ أقبلَ نسيمه ولذلك سميت النفس نسمة(٤).

## المعنى :

يسأل الصحابة (رضي الله عنهم) رسول الله (ﷺ) عن حالهم مع الجوارى اللاتى يحصلن عليها من الكفار كأسرى حرب ( وكان ذلك فى غزوة بنى المصطلق(٥)) حيث كانوا يستمتعون بهم، ويعزلون عنهن لعدم الرغبة فى الإنجاب منهن، ويريدون معرفة حكم العزل فى هذه الأمور. فبين لهم الرسول (ﷺ) أنه لا حرج من هذا الفعل فقدرة الله وقدره غالب لا محالة.

---

(١) فعله : صَوَب ... تحركت الواو وانفتح ما قبلها فصارت صاب - يصيب ينظر مقاييس اللغة ٣ / ٣١٧.

(٢) مقاييس اللغة ٣ / ١٣٠. وأساس البلاغة ١ / ٤٣٦.

(٣) مقاييس اللغة ٤ / ٣٠٧.

(٤) مقاييس اللغة ٥ / ٤٢١.

(٥) احدى غزوات المسلمين مع اليهود . عمدة القارئ ١٩٦/٢٠ كتاب النكاح ( باب العزل ).

وقد تمسك بهذا الحديث من رأى إباحة العزل عن الزوجة والأمة. وهو رأى كثير من السلف من الصحابة والتابعين.

## التحليل البلاغى والدراسة :

بدأ السائل سؤاله بإستخدام أداة النداء للبعيد ( ياء ) مع قرب الرسول منه. لما يفيده النداء من جذب الانتباه، ودلالة الأداة (يا) على بُعد منزلة الرسول (ﷺ) وعلو شأنه.

وإضافة رسول إلى لفظ الجلالة تعظيماً لشأنه (ﷺ) وتشريفاً له. فضلاً عما توحى به الإضافة من ضرورة العلم بما يُسأل عنه.

**قوله : " إنا نصيب سبياً "**، جملة خبرية مؤكدة بـ ( إن ) استحساناً للاهتمام بالخبر، وقطع طريق الشك فيه. وبهذا التأكيد يكشف السائل عن حيرته الداخلية والتى يريد أن يمحوها بإجابة شافية مؤكدة من رسول الله (ﷺ). فلم يكن التأكيد عبثاً أو مخلاً ببلاغة الكلام.

وصور السائل فوزهم بالجوارى وإستقرارها وقرارها لديهم واستمتاعهم بهم كيف شاءوا بالإصابة فى القول والفعل بجامع الاستقرار ثم حذف المشبه، وهو الحصول على الجوارى وأقام المشبه به مقامه على سبيل الإستعارة التبعية.

**وقوله :** " ونحب المال " كناية عن المكاسب التى يحققونها من بيع السبايا. ووصلت الجملتان لاتفاقهما فى الخبرية لفظاً ومعنى، واتحد المسند إليه فيهما، وترتبط الثانية بالأولى من حيث أنها مترتبة عليها. فإصابه السبى يعقبه البيع والحصول على المال.

**وقوله :** " كيف ترى فى العزل " استفهام حقيقى. يرغب من خلاله معرفة حكم الدين فى هذا الفعل.

**فقال رسول الله (ﷺ). الفاء زائدة** [1].

" أَوَ إنكم تفعلون ذلك " : إيجاز بحذف ( جملة فعلية ) أى : أأصبتم سبياً وتفعلون ذلك.

وعليه فهناك وصل بين الجملة المحذوفة وقوله " وإنكم تفعلون ". لإختلافهما خبراً وإنشاء، ولكن الفصل يوهم خلاف المراد، فبينها كمال الانقطاع مع إيهام الفصل خلاف المراد[2].

والإستفهام فى " أأصبتم " والتأكيد بـ ( إن ) لتشويق المخاطب للجواب، حتى إذا جاءه الجواب تمكن فى نفسه، وثبت فى ذهنه.

" **لا عليكم ألاّ تفعلوا** " أى لا جناح عليكم. بل افعلوا هذا الأمر.

فالحرف " ألاّ " بالتشديد للتحضيض(٣).

والفعل " تفعلوا " يدل على إباحة تجدد هذا الفعل منهم. ولذلك لم يعبر بالإسم فلم يقل ( فى فعلكم).

قوله (ﷺ) : " **فإنه ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هى كائنة** ".

الفاء عاطفة، والضمير للأمر والشأن.

والجملة خبرية أكد فيها الخبر بأكثر من مؤكد ( إنّ ، وأسلوب القصر ) تنزيلاً لهم " غير المنكرين " منزلة المنكر، فهم وإن كانوا لا ينكرون أن قدر الله واقع لا محالة، ولكن إفراطهم فى العَزْل يجعلهم يُرجعون إليه السبب فى عدم الإنجاب، فيبعدهم ذلك عن تذكر الله، والتفكير فى سبق قضائه تعالى، ونفاذ إرادته. فأُلقى إليهم الخبر مؤكداً بإنّ وأسلوب القصر، والقصر فى " ليست نسمة ..... إلا هى كائنة " من قصر

---

(١) انظر " معنى اللبيب ١ / ٢٧٨.

(٢) قياساً على قولهم ( لا وشفاه الله )، أو ( لا ويرحمك الله ) من شروح التلخيص. مواهب الفتاح وحاشية الدسوقى ٣ / ٦٧.

(٣) ينظر مغنى اللبيب ١ / ١٣٤ ، والبرهان فى علوم القرآن ٤ / ٢٣٦.

الموصوف على الصفة، فقصر النفس على الوجود بأمر الله وقدره. قصراً إضافياً. ولا يجوز أن يكون هذا من قبيل القصر الحقيقى إذ يقول ( صاحب المطول ):

ما من مقصور إلا وله صفات يتعذر إحاطة المتكلم بها، فكيف يصح منه قصره على صفة، ونفى ما عداها بالكلية، بل نقول إن هذا النوع من القصر مفض إلى المحال، لأن للصفة المنفية نقيضاً البتة ـ وهو أيضاً من الصفات، فإذا نفيت جميع الصفات لزم ارتفاع النقيضين. مثلاً إذا قلت: ما زيد إلا كاتب على معنى أنه لا يتصف بغيرها. لزم أن لا يتصف بالشاعرية ولا بعدمها، وهو محال[1].

جملة " كتب الله أن تخرج " اعتراضية، أى قدر الله[2] خروجها. و" هى كائنة " تعريف المسند إليه بضمير الغيبة لكون المقام له، لتقدُم ذكره (نسمة) . كقوله تعالى : " فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ".

والتعبير بإسم الفاعل يدل على ثبوتها على الوجه الذى أراده الله لها. وبهذا جاءت ألفاظ الحديث النبوى على قدر المعانى. لا زائدة عليها ولا ناقصة عنها، وهذا هو الإفصاح والبيان[3].

---

(١) المطول ٢٠٥ .

(٢) لسان العرب مادة كتب، والمقاييس ١٥٨/٥.

(٣) ينظر جواهر البلاغة ٥٨.

# المبحث الرابع

## من باب العمل بالخواتيم

عن أبى هريرة (رضي الله عنه) قال شهدنا مع رسول الله (ﷺ) خيبر فقال رسول الله (ﷺ) لرجل ممن معه يدعى الإسلام هذا من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل من أشد القتال وكثرت به الجراح فأثبتته فجاء رجل من أصحاب النبى (ﷺ) فقال يا رسول الله أرأيت الذى تحدثت أنه من أهل النار قد قاتل فى سبيل الله من أشد القتال فكثرت به الجراح فقال النبى (ﷺ) أما إنه من أهل النار، فكاد بعض المسلمين يرتاب فبينما هو على ذلك إذ وَجَد الرجل أَلَم الجراح فأهوى بيدهِ إلى كنانته فانتزع منها سهماً فانتحر بها فاشتد رجالٌ من المسلمين إلى رسول الله (ﷺ) فقالوا يا رسول الله صَّدق الله حديثك قد انتحر فلان فقتل نفسه فقال رسول الله (ﷺ) " يا بلال قم فأذِّن لا يدخُلُ الجنةَ إلا مؤمنٌ وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجُل الفاجرً ".

## اللغـــــة :

**شـــــــهدنا** : الشهود حضور، وعلم، وإعلام، ومن ذلك الشهادة يقال شهد يشهد شهادة. والمشهد : محضر الناس[1].

**فأثبتتـــــــه** : من الفعل ثبت يقال : فلان ثابت القدم من رجال ثُبت. ورجل ثَبْتُ الجنان.

ومن المجاز : أثبتته الجراحات وأثبته السُّقم إذا لم يقدر على الحراك[2].

---

(١) مقاييس اللغة ٣ / ٢٢١.

**يرتـــــــــاب** : الرَّيب : الشك، أو شك وخوف[٣].

**قال تعالى : " آلـم : ذلـك الكتـاب لا ريـب فيـه** [٤]"

أى لا شك فيه ولا خوف منه، فبقراءته تشتمل الطمأنينية الجسد كله.

**فأهـــــــــوى** : من هوى الشئ يهوى : سقط. وأوصله الهواء بين الأرض والسماء[٥].

**فانتـــــــــزع** : نزعت الشئ من مكانه نزعاً : يدل على قلع شئ [٦].

**الفاجـــــــــر** : كل مائل عن الحق[٧].

## التحليل البلاغى والدراسة :

بدأ الحديث بالإستئناف البيانى فى " قال شهدنا ".

وعبر بالشهود دون الحضور، لما يوحى به اللفظ من اشتراك جميع الحواس الظاهرة فى الأمر، مع الوعى التام لما يحدث، بينما لا يفى لفظ " الحضور " بهذا المعنى.

وتعريف المسند إليه بالضمير، لأنه فى مقام التكلم، ( فالمتكلم يتحدث عن نفسه وأصحابه ممن شهدوا خيبر ).

---

(٢) أساس البلاغة ١ /١٠٣.

(٣) مقاييس اللغة ٤٦٣/٢.

(٤) البقرة ١ ، ٢.

(٥) مقاييس اللغة ١٥/٦.

(٦) مقاييس اللغة ٤١٥/٥.

(٧) مقاييس اللغة ٤ / ٤٧٥.

" مع " ظرفية للإجتماع [1]، ومعيتهم لرسول الله (ﷺ) تشريف لهم. كما أن تعريف الرسول (ﷺ) بإضافته إلى لفظ الجلالة تشريف وتعظيم له (ﷺ).

" خيبر " قرية فى المدينة وقعت عندها إحدى غزوات الرسول (ﷺ).

وقُدِّر أن السامع يستفهم عما فعله الرسول (ﷺ) فى خيبر فقيل له : " فقال رسول الله (ﷺ) على سبيل الاستئناف البيانى.

والفاء للترتيب مع التعقيب ليدل على أن هذا القول كان فى الغزوة لا بعدها.

**قوله : " لرجل ممن يدعى الإسلام "** تعريف بالموصول، ليخفى اسم المنافق الذى يتحدث عنه، لئلا يُظن أن الغرض من ذكر إسمه هو التعريض به وفضيحته. فيغيب الغرض المساق من أجله الحديث.

**كقوله تعالى :** " ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد [2] ".

( وادعاء الإسلام ) كناية عن النفاق. وهى كناية دقيقة، فالتصريح بلفظ النفاق يوحى أنه من أهل النار لا محالة، ولن يكون هناك سبب لتكملة الحديث عنه وعن فعله.

أما ذكر ( الإسلام ) فى الكلام، يجعل المرء يفكر فيما يجب أن يكون عليه هذا المرء حتى ولو كان مدعياً.

---

(١) وهى ملازمة للبناء على الفتح . ينظر مغنى اللبيب ١ / ٥٣٨.

(٢) الحج (٨).

**قول الرسول (ﷺ) : " هذا من أهل النار "** تعريف للمسند إليه بالإشارة إلى القريب لقصد تحقيره. وهذا يناسب قول الصحابى " ممن يدعى الإسلام ". فالذى يدعى الاسلام حقه التحقير.

" **من أهل النار** " أى بعض أهلها. وإنما عبر النظم النبوى " بأهل النار " دون " فى النار " للدلالة على ملازمته إياها، كما يلازم الدار أهلها فهى داره ومستقره.

" فلما حضر القتال " قاتل الرجل من أشد القتال وكثرت به الجراح " أى قاتل قتالاً شديداً، وبسبب ذلك جرح جراحاً كثيرة. فالتعريف فى " الرجل " للعهد الصريحى[1]، وحذف المفعول " قتالاً " للإيجاز. ووصلت جملة " وكثرت به ..... " بما قبلها للتوسط بين الكمالين، فالجملتان خبريتان، والتناسب بينهما ظاهر فالمسند إليه واحد، والجملة الثانية مسببة عن الأولى.

قوله : **فأثبتته** : الفاء : للتعليل[2]، وقد صور بهذا الفعل ما صار إليه حال الرجل من عدم الحركة نتيجة لجراحه. على سبيل الاستعارة التبعية، حيث استعير ثبات القدم ورسوخها لثبات الجسد بلا حركة، ثم اشتق من الثبات الماضى أثبتته.

وهى إستعارة موحية بشدة إصابات الرجل، وما بذله من مشاركة تامة فى أعمال القتال. وهذا ما فتح ثغرات الريبة والشك من قِبَل بعض الصحابة.

---

(١) هى التى يتقدم لمدخولها ذكر صريح فى الكلام.

(٢) ينظر البرهان فى علوم القرآن ٤ / ٢٩٤.

" فجاء رجل من أصحاب النبى (ﷺ). تنكير المسند إليه " رجل " لعدم القصد إلى بيان اسمه، وإنما قصد بيان ما قاله للرسول (ﷺ).

وإضافة ( النبى ) إلى ( أصحاب ) تشريفاً لهم (رضي الله عنهم) بمصاحبتهم لرسول الله (ﷺ).

" فقال يا رسول الله " الفاء زائدة، والجملة استئناف بيانى.

ونداء الرسول (ﷺ) بأداة النداء البعيد مع قربه منهم لعلو شأنه وبُعد منزلته وقد ولى النداء الاستفهام فى قوله :

" أرأيت " أى أعلمت [1]؟. والاستفهام بالهمزة مراد منه التصديق[2]. وقد ولى الفعل الهمزة، وذلك لأن الشك فى الفعل نفسه ( رؤيته أو علمه ) (ﷺ) للرجل وإنما يستفهم ليعلم حدوثها أم لا؟.

## يقول الإمام عبد القاهر :

إذا قلت أفعلت ؟ فبدأت بالفعل، كان الشك فى الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا قلت أأنت فعلت، فبدأت بالإسم كان الشك فى الفاعل من هو وكان التردد فيه[3].

نداء الرجل للنبى (ﷺ) بإضافته إلى لفظ الجلالة دون الإسم الظاهر يوحى بإعترافه، وإيمانه، وتصديقه بنبوته (ﷺ)، وصدق رسالته، وإنما يسأل ليحصل على الإيضاح والبيان، وليس المراد بسؤاله التكذيب.

---

(١) وتأتى بمعنى ( أخبرنى ، وانتبه ) كما فى البرهان ٤ / ١٥٣.

(٢) يقول الشيخ الدسوقى : إن الاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردد الذهن فيها، بين ثبوتها ونفيها، والإستفهام عن التصور يكون عند التردد فى تعيين أحد الشيئين . ينظر حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص ٢ / ٢٤٠.

(٣) دلائل الإعجاز ١١١.

وتعريف المسند إليه بالموصول " **الذى تحدثت أنه ...** " للتنبيه على خطأ ما وقع من الرسول (ﷺ) وأراد التأكيد من صحة الخبر.

**فقال :** " قد قاتل فى سبيل الله من أشد القتال " صلة الموصول، و " قد " للتحقيق [1] أى قاتل قتالاً شديداً.

**قوله :** " فى سبيل الله " اهتمام ببيان إخلاص الرجل للإسلام والمسلمين.

قول النبى (ﷺ).

" **أما إنه من أهل النار** " افتتحت الجملة بالحرف " أمَا " مفتوحة الهمزة والميم المفردة للتنبيه والإشارة إلى تقدير ما يذكر بعده وتأكيد مضمونه[2].

واجتماع " أما وإن " فى الجملة يزيد بها الأمر تأكيداً، والمعنى تقريراً.

وبدأ بها الرسول (ﷺ) لشدة اهتمامه بمضمون الخبر، والرغبة فى نزع الشك من صدور بعض الصحابة الذين تتنازعهم الريبة فى صدق الخبر.

يقول أبو هريرة (رضي الله عنه) " فكاد بعض المسلمين ... يرتاب ".

الفاء زائدة. أى أنه على الرغم من تأكيد الرسول (ﷺ) الخبر وتقريره، كاد بعض المسلمين يرتاب.

**كاد :** من أفعال المقاربة عند النحاة وضع لدنو الخبر، وقد يقترن الفعل بعده بأن أوّلا كالحديث ( كاد يرتاب أو أن يرتاب )[3].

" بعض المسلمين " يوحى بقلة عدد من أصابتهم الريبة والتردد فى أمر الرجل ومصيره.

**يرتاب :** قال الكرمانى : أى يشك فى صدق رسول الله (ﷺ) أى يرتد عن دينه.

---

(١) البرهان ٤ / ٣٠٨.

(٢) تدخل ( أما ) على أن المفتوحة الهمزة مشددة النون، وعلى مكسورة الهمزة، وعلى الجملة الفعلية. وكل أحوالها ترشد الى تقرير مضمون ما تدخل عليه. ينظر مغنى اللبيب ١ / ١٥٨.

(٣) ينظر البرهان فى علوم القرآن ٤ / ١٣٦.

" فبينما هو على ذلك " الفاء للترتيب. ويعود الضمير " هو " إلى الرجل المصاب والإشارة إلى حاله وما به من جراح.

" إذ وجد الرجل ألم الجراح " (أل) فى " الرجل " للعهد الصريحى.

وإضافة ( الجراح إلى ألم ) بكونها السبب فيما يشعر به.

" فأهوى بيده إلى كنانته " الفاء للتعليل، أى بسبب عِظَم آلامه من جراحه أهوى بيده إلى كنانته.

**والباء :** للإستعانة لدخولها على آلة الفعل[1] ( اليد ).

والفعل " أهوى " يدل على شدة معاناة الرجل فى رفع يده وإسقاطها على كنانته لأخذ السهم. ويوحى أيضاً بقرب الكنانة من يده، مما يؤكد أنه لم يبرح مكانه اثر جراحه الشديدة. إذ لا تزال الكنانة بجانبه.

" **فانتزع منها سهماً** " أسهم الفعل (انتزع) مع الفعل (أهوى) فى تصوير حال الرجل تصويراً دقيقاً يوحى بما عليه من كثرة الجراح وشدة الإعياء والألم.

فلم يقل " وضع يده وأخذ سهماً " إذ لا يخفى ما فى تلك الألفاظ من معاناة لا تؤديها الأخرى ".

ثم قال " **فانتحر بها** " مستخدماً لفظ " النحر " بدلاً من القتل ليناسب الألفاظ (أهوى، وانتزع).

**قوله : " فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله (ﷺ) فقالوا":**

عبر بلفظ " اشتد " بدلاً من " ذهب أو قام " لما يوحيه من القوة، والهمة فى الفعل، كما يدل على فرحهم وسعادتهم بثبات صدقه (ﷺ)، ورغبتهم فى حمل البشرى فى سرعة.

---

(١) مغنى اللبيب ١ / ١٧٥.

وتنكير " **رجال** " للتعميم، وقد يكونون ممن ترددوا وارتابوا أو ممن هم على يقينهم، أو خليط من هذا وذاك.

**فقالوا** : يا رسول الله (ﷺ) فلم تتغير أداة النداء تعظيماً للرسول (ﷺ) وبعداً لمنزلته. ولم تتغير الإضافة فلم يقولوا ( يا أيها النبى ) أو ( يا محمد) وإنما نستشعر منها هذه المرة معنى الاعتذار، والأسف على سوء ظنهم أو سوء ظن بعضهم.

**قولهم : " صدق الله حديثك "** جملة خبرية يراد بها لازم فائدة الخبر فهم لا يقصدون أن يعلموا رسول الله (ﷺ) بأن الله قد صدق حديثه، لأنه يعلمه، وإنما أرادوا إعلامه أنهم علموا ذلك أيضاً. وقد يراد من الخبر هنا حمل البشرى.

" **قد انتحر فلان فقتل نفسه** " الفاء بمعنى الباء، وما بعدها يدل على ما قبلها[1]. فهو بدل منها. يؤكد المعنى ويقرره.

" فقال رسول الله (ﷺ) استئناف بيانى، " **يا بلال** " نداء للبعيد أعقبه الأمر فى " **قم فأذن** " وهو على الحقيقة.

" **لا يدخل الجنة إلا مؤمن** " من قصر الصفة على الموصوف قصراً إضافياً، فلا يتعداه إلى غيرهم من المشركين والكفار.

وفصلت جملة القصر عن الأمر قبلها لوقوعها بدلاً منها، أو بياناً لها.

وأفادت جملة القصر التأكيد على عدم دخول الجنة لغير المؤمن، والتأكيد هنا بحسب ما تقتضيه حال المخاطب. فالغرض هنا التعيين للمتردد والمضطرب المتشكك فى أن المؤمن وغيره يدخلون الجنة. فأكده الرسول بجملة القصر. ويشمل لفظ " المؤمن " المسلم أيضاً، فالمؤمن هو المسلم،

---

(١) البرهان فى علوم القرآن ٤ / ٢٩٤.

ولا يُفرق بينهما إلا حال اجتماعهما : كما فى قوله تعالى : " **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا** ( الحجرات ١٤) فإذا افترقا كان فى هذا الحديث كما معنى المؤمن هو معنى المسلم وبالعكس[١]

ثم عطف على جملة القصر جملة خبرية مؤكدة بـ ( إن واللام ) فقال : " **وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر** " وذلك لدفع إنكار المنكرين بأن الرجل الفاجر يكون أداة وسبيل لتأييد الدين وصدق الرسول، (ﷺ) والتأكيد يبين أن هذا الأمر إلهى من عند الله لتثبيت الذين آمنوا على إيمانهم . وإظهار المنافقين من بينهم.

" **هذا الدين** " تعريف بإسم الإشارة للقريب لتعظيمه وتفخيمه.

والطباق بين (المؤمن والفاجر) ، يقوى المعنى ويظهره.

وهكذا ينتهى الحديث النبوى الشريف بما اشتمل عليه من بلاغة ينتمى أكثرها إلى علم المعانى وبلاغة التراكيب، فقد كثر الفصل والوصل بين الجمل، وتأكيد الجمل بحسب نوع الخبر وأحوال المخاطبين، والقصر. وكلها أمور بلاغية تأتى لتأكيد المعنى وتقريره، وتنشيط ذهن السامع ولفت انتباهه. كما كثر التعريف والتنكير للمسند إليه والمسند لأغراض بلاغية يقتضيها المقام.

ونلاحظ فى الحديث أدب الحوار مع رسول الله (ﷺ)، وسماحة الرسول الكريم فى الأخذ منه والرد عليه، وهى أمور لا يقبلها إلا من علت نفسه، علواً روحانياً إلهياً، بحيث يقبل النقد، والشك من أصحابه. موقناً أن المعلم لابد أن تتوفر فيه هذه السماحة حتى يجنى ثماراً ناضجة، صالحة للإفادة فى كل زمان ومكان، وقد فعل (ﷺ) وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) فالمؤمن هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان معاً . يراجع دراسات بلاغية فى القرآن والحديث ص ١٣٧.

# الخاتمة

هكذا ينتهى البحث البلاغى للأحاديث المختارة من كتاب القدر (فى صحيح البخارى)، والتى ظهر فيها حرص الرسول (ﷺ) على مخاطبة كل قوم، بل كل فرد على قدر حاله، فجاءت ألفاظه (ﷺ) ملائمة لمعانيه وأغراضه.

كما ظهر الإكثار فيها من بلاغة التراكيب كالتأكيد للخبر، والتعريف والتنكير للمسند أو المسند إليه والفصل والوصل والقصر والإيجاز، وغيرها من الموضوعات التى تأتى للتأكيد والبيان والإيضاح.

بينما يقل فيها ( بحسب مقتضى الحال ) الخيال بما فيه من استعارة وتشبيه ومجاز مرسل وكناية... فجاءت فى إطار ضيق استدعاه المقام بلا تكلف أو تعنت.

كما تقل الصنعة البديعية فاقتصرت على الطباق والجناس أحياناً ثم ما ينبغى أن يكون عليه الحديث الشريف من حسن الابتداء وحسن التخلص وحسن الانتهاء التى هى من صفات الداعية الناجح الذى يقول عنه أرسطو :

" فلا ينبغى أن يعلم ما ينبغى أن يقول بل يجب أن يقوله كما ينبغى " [1]

---

(١) الخطابة - لأرسطو - ١٤٠٣

# المراجـــع


| | | |
|---|---|---|
| ١- أساس البلاغة | للزمخشرى<br>تحقيق محمد باسل عيون السود | دار الكتب العلمية بيروت لبنان |
| ٢- أسرار البلاغة | عبد القاهر الجرجانى<br>تحقيق هـ / بتر | مكتبة المتنبى الطبعة الثانية |
| ٣- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية | مصطفى صادق الرافعى | دار الفكر العربى |
| ٤- البرهان فى علوم القرآن | الزركشى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم | دار المعرفة بيروت - لبنان |
| ٥- بغية الإيضاح | عبد المتعال الصعيدى | مكتبة الآداب |
| ٦- البلاغة العالية | عبد المتعال الصعيدى<br>تقديم د/ عبد القادر حسين | مكتبة الآداب |
| ٧- البلاغة العربية فى ثوبها الجديد | د/ بكرى شيخ أمين | |
| ٨- تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر | د/ عبد العزيز عرفة | طبعة أولى |
| ٩- جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع | السيد / أحمد الهاشمى | دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة السادسة |
| ١٠- الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية | د/ كمال عز الدين | دار إقرأ |

| | | |
|---|---|---|
| ١١- الخطابة | أرسطو | |
| ١٢- دراسات بلاغية فى القرآن والحديث | د/ عبد الفتاح لاشين | |
| ١٣- دلائل الإعجاز | عبد القاهر الجرجانى تحقيق محمود شاكر | |
| ١٤- شروح التلخيص | ابن يعقوب - السبكى وغيرها | دار السرور بيروت - لبنان |
| ١٥- عمدة القارئ | شرح صحيح البخارى العينى | الطباعة المنيرية |
| ١٦- فتح البارى | شرح صحيح البخارى | |
| ١٧- فن البديع | د/ عبد القادر حسين | دار الشروق |
| ١٨- الكتاب | سيبويه | |
| ١٩- لباب المعانى | د/ محمد حسن شرشر | |
| ٢٠- لسان العرب | ابن منظور | |
| ٢١- المطول | سعد الدين التفتازانى | |
| ٢٢- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب | تحقيق الفاخورى | دار الجيل بيروت |
| ٢٣- مقاييس اللغة | بن فارس - تحقيق عبد السلام هارون | - الطبعة الثانية |
| ٢٤- مقدمة الفائق فى غريب الحديث | الزمخشرى | |
| ٢٥- من بلاغة النظم العربى | د/ عبد العزيز عرفة | طبعة أولى |
| ٢٦- النهاية فى غريب الحديث والأثر | ابن الأثير - تحقيق طاهر أحمد الزاوى محمود محمد الطناحى | المكتبة العلمية بيروت - لبنان |